منشورات مركز الإمام الألباني: (٣)
ربيع الأول (١٤٢٢ هـ)

نبذة علمية في التعاون الشرعي والتحذير من الحزبية

إعداد
لجنة التحقيق العلمي، وتحقيق التراث الإسلامي
مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية، والأبحاث العلمية
عمان - الأردن
فاكس: (٠٠٩٦٢-٦-٥٠٥٤٠٥٣)

أمَرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتَعالى – بالتَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى، ونهى عنِ التَّعاونِ على الإثمِ والعُدوانِ، فقالَ – جلَّ وعلا –: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]

١ـ والتَّعاونُ الشَّرعيُّ على البرِّ والتَّقوى: كلمةٌ جامِعةٌ؛ تَجمعُ الخَيرَ كلَّه، ويترتبُ عليها صلاحُ المجتمعِ المسلمِ، وسلامتُه منَ الشُّرورِ، وإحساسُ أفرادِهِ بالمسؤوليةِ الملقاة على كواهلهم؛ لأن التَّعاونَ في حياة الامم مظهرٌ من مظاهرِ شخصيَّتِها، وأساسٌ في بناءِ حضارتها.

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في «تفسير القرآن العظيم» (٢/٧) – مُفَسِّراً الآيةَ المُتقدِّمةَ –:

«يَأمرُ اللهُ – تعالى – عبادَه المؤمنين بالمعاونةِ على فعلِ الخيراتِ، وهو: البِرُّ، وتركُ المنكراتِ، وهو: التَّقوى، ونهاهم عن التَّناصرِ على الباطلِ، والتَّعاونِ على المآثمِ والمحارمِ».

ويدخلُ تحتَ هذا المعنى ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الدَّاري – رضي الله عنه – قال: قالَ رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصيحةُ»، قيل: لمن يا رسولَ اللهِ؟ قال: «للهِ، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمينَ، وعامَّتِهم».

والنُّصحُ – في أصلِ اللغة – هو: الإخلاصُ في الشَّيءِ، وعدمُ الغِشِّ والخيانةِ فيه.

وهذا واجبُ أهلِ العلمِ وطلابه بادئَ بدءٍ؛ لأنهم ورثةُ الأنبياءِ وخلفاء الرُّسل في بيانِ الحقِّ والدَّعوة إلى الله، والصَّبر على الأذى، وتحمُّلِ المشاقِّ، قالَ – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]

٢ـ التَّعاون الشَّرعيّ مِنْ لوازم المولاة بين المؤمنين؛ قال – تعالى –: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الآية. [التوبة:٧١]

فمَن تركَ نُصحَ إخوانه، وَخَذَلهم: فهو غاشٌّ لهم، وليس ولياً لهم؛ لأن مِنْ لوازمِ الولايةِ النُّصحَ لهم وإعانتَهم على البرِّ والتَّقوى.

٣ـ التَّعاون بين المسلمين قوةٌ وعصمةٌ:

لقد شبَّه النبي ﷺ تعاونَ المسلمينَ واتحادَهم وتماسكَهم بالبنيان الذي اجتمعتْ لَبِنَاتُهُ وتماسكت؛ فازداد قوةً، وكذا المسلمون يزدادون قوةً ما تعاونوا بينهم؛ كما قال – عليه الصلاة والسَّلام –: «المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشدُّ بعضه بعضاً» [متفق عليه]

وما ضعُفت أمَّة الإسلامِ وطَمِعَ فيها أعداؤُها إلا حين تفرقت وتنازعتْ مع كثرةِ عَدَدِها وعُدَدِها؛ كما قال – تعالى –: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. [الأنفال:٤٦]

وهذا أمْرٌ تُدرِكُهُ الفِطَرُ السَّليمةُ، وتحيطُ بمعرفتِه العقولُ المستقيمةُ، كما قال الشاعر الحكيم:

تأبى الرِّماحُ إذا اجتَمَعْنَ تكسُّراً
وإذا افتَرَقْنَ تكسَّرَتْ آحادا

وهذا كلُّهُ لا يكونُ إلا على كلمةِ التَّوحيدِ؛ لأنها أساسُ توحيدِ الكلمةِ.

٤ـ التَّعاونُ والاتحادُ:

كما قال – تعالى –: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢]، وقال – سبحانه –: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. [الأنبياء:٩٢]

فالتَّعاون والاتحاد ينبغي أنْ يكونَ على البرِّ والتَّقوى؛ وإلا أدى إلى الفشلِ الذَّريعِ، وطَمَعِ الأعداءِ، وسلبِ الأوطانِ، وهتك الأعراضِ، واغتصابِ المقدَّساتِ، مِصداقاً لما أخبر به الرسول ﷺ: «يُوشك أن تَداعى عليكم الأممُ كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها»، قالوا: أومن قلةٍ نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ؛ ولكنكم غُثاءٌ كغثاءِ السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة لكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وهذا إشارةٌ إلى التَّناهي في الضَّعف مع وجود الكثرةِ؛ لكنَّها مبعثرةٌ؛ تسير بلا هدفٍ، وتتحرك بلا غايةٍ، فسلَّط الله عليها الذل الذي خيَّم عليها طولاً وعرضاً؛ كما قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البَقر، ورضيتم بالزرعِ، وتركتم الجهادَ؛ سلَّط الله عليكم ذلاً؛ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

فالمسلمُ لا بُدَّ أنْ يشعر بأخيه، ويعيش آلَه، ويتعاون معه على البرِّ والتَّقوى؛ لتصير أمةُ الإسلامِ كالجسد الواحد الحي، كما قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [متفق عليه]

٥ـ التَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبر سببٌ للنَّجاة من الخسران:

التَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبر من أبرز مظاهر التَّعاون الشَّرعيِّ على البرِّ والتَّقوى، وبهما يُحفظ الدين؛ وهما من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، وهما سببُ صلاحُ البلادِ والعبادِ:

قال – تعالى –: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وكمالُ هذا الأمر وتمامُهُ بالتَّواصي بالمرحمةِ؛ حُبّاً، وولاءً، وشفقةً، ورعايةً . . .

ولقد كانَ أصحابُ الرسولِ ﷺ لا يتفرَّقون إلا إذا قرأوا سورةَ العصرِ.

٦ـ من مظاهر التَّعاون الشَّرعيِّ على البرِّ والتَّقوى: تنفيسُ كُرُبات المسلمينَ، وستر عوراتِهم، وتيسير أُمورهم، ونصرهم على من ظلمهم، وتعليم جاهلهم، وتذكير غافلهم، وإرشاد ضالِّهم، وإغاثة ملهوفِهم، وإعانة محتاجِهم، ومساعدتُهم في جهادِهم ودعوتِهم،

ومشاركتُهم في جُمَعِهم وجماعاتِهم وأعيادِهم، وزيارةُ مرضاهم، وإجابة دعوتهم، وتشييع جنائزهم، وتشميت عاطسهم، وإعانتهم على كل خير.

٧ـ لقد ذمَّ اللهُ التَّفرقَ؛ لأنه يقضي على التَّعاون والألفة والمحبة، ويُفضي إلى التَّنازع والفشل والبغضاء، قال – تعالى –: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. [الروم:٣١-٣٢]

فالتَّفرق شعارُ المشركين، لا شعار الموحِّدين المؤمنين، ولذلك كره السَّلفُ التَّحزُّبَ والتَّفرقَ، بل حاربوه، وحرَّموه.

٨ـ ولقد لمسنا ورأينا ما فعلت الحزبية المقيتة من سوءٍ وبلاء؛ فألقت بين النَّاس العداوة والبغضاء؛ لأنَّهم عاملوا غيرَهُم على أساسٍ حزبي، وكان ولاؤهم للحزب والتَّنظيم، لا للإسلام والدين؛ فكانت الأخوةُ الحزبيةُ مُقدَّمةً – عندهم – على الأخوة الإيمانية؛ فالتَّعاون عندهم مشروطٌ بالانتماء للحزبِ، وأما المسلمُ غيرُ الحزبيِّ فلو كان صديقَ زمانِه، ورفيقَ أوانه كان شعارهم معه: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾!!

فضلاً عن مساوئَ أُخَرَ، وانحرافات أُخرى؛ من تقديم الجُهَّال، واتِّخاذِ السِّرِّيَّةِ، وإلقاءِ بذُور الشكِّ بين المُسلمين، وخَلْط الحقّ بالباطلِ، وجَعْلِ الحماساتِ والعواطفِ أساساً، وتأخير العلمِ، والتشكيك بأهلِهِ . .

. . . هذه نبذةٌ يسيرةٌ عن حال الفِرَقِ والأحزابِ التي أَسَرَتْها قيودُ الحزبيةِ، وكتمت أنفاسَها آصارُ السِّرية؛ فإذا تقدَّمَ مسلمٌ من خارجِ صفِّهم قالوا: مُثبِّطٌ، مُشوِّشٌ، مرجفٌ، يريد تخريبَ الصَّفِّ الإسلامي، وفتح الثُّغور لأعدائِه . . .

وإنْ جاء ناصحٌ أمينٌ من بينهم قالوا: متساقط على الطريق، يريد التَّفريق، وخذلان الرفيق!

قال الإمام الرَّباني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في «مدارج السالكين» (٣/ ٢٠٠):

«فإذا أراد المؤمنُ الذي قد رزقه اللهُ بصيرةً في دينه، وفقهاً في سنَّة رسوله، وفهماً في كتابه، وأراه ما النَّاسُ فيه من الأهواء والبدع والضلالات، وتنكُّبهم عن الصراط المستقيم، الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه؛ فإذا أراد أن يسلكَ هذا الصِّراط؛ فَلْيُوَطِّن نفسَه على قدح الجهال وأهلِ البدع به، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير النَّاس عنه، وتحذيرهم منه؛ كما كان سلفُهم من الكبار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ.

فأما إذا دعاهم إلى ذلك، وقَدَحَ فيما هم عليه، فهنالك تقومُ قيامتُهم، ويبغون له الغوائلَ وينصبُون له الحبائل، ويجلِبون عليه بخيل كبيرهم ورَجْلِه؛ فهو:

غريبٌ في دينه؛ لفساد دينهم.

غريبٌ في تمسكه بالسُّنَّة؛ لتمسكهم بالبدع.

غريبٌ في اعتقاده؛ لفساد عقائدهم.

غريبٌ في صلاته؛ لفساد صلاتهم.

غريبٌ في طريقه؛ لضلال وفساد طرقهم.

غريبٌ في نسبته؛ لمخالفة نسبتهم.

غريبٌ في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة؛ فهو غريبٌ في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعداً ولا معيناً.

فهو: عالمٌ بين جهال.

صاحبُ سنَّة بين أهل البدع.

داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاة الأهواء والبدع.

آمِرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر بين قوم المعروفُ لديهم منكرٌ والمنكر معروفٌ». اهـ

فتاوى لعلماء الأمة

بتحريم تعدد الجماعات والأحزاب

○ السؤال: ما حكم تعدّد الجماعات والأحزاب في الإسلام، وما حكم الانتماء إليها؟!

١ـ أجابت (اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز – رحمه الله–، وعضوية نائبه الشيخ عبدالرزاق عفيفي – رحمه الله–، والشيخ عبدالله بن غديان، والشيخ عبدالله بن حسن بن قعود؛ بتحريم ذلك ضمن الفتوى رقم (١٦٧٤ في ٧/ ١٠/ ١٣٩٧هـ) وما ورد فيها:

«لا يجوز أنْ يتفرّق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً . . . فإنّ هذا التّفرقَ مما نهى اللهُ عنه، وذمّ من أحدثه، أو تابع أهلَه، وتوعّد فاعلَه بالعذاب العظيم؛ قال الله – تعالى–: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] إلى قوله – تعالى–: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] ، وقال – تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

أما إن كان ولي أمْرِ المسلمين هو الذي نَظّم ووَزّع بينهم أعمال الحياة الدّينية والدّنيوية فهذا مشروع». اهـ

٢ـ وفي «مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله–» (ج٥/ ٢٠٢-٢٠٤) إجابة مفصّلة عن هذا السّؤال، قال – رحمه الله –:

«إنّ نبيّنا محمّداً ﷺ بيّن لنا دَرباً واحداً يجب على المسلمين يسلكوه؛ وهو صراط الله المستقيم، ومنهج دينه القويم، قال الله – تعالى–: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] . . . فالواجبُ على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كلّ جماعةٍ، ونُصحُ الجميع بأنْ يسيروا في الخط الّذي رسمَه اللهُ لعباده، ودعا عليه نبيّنا محمد ﷺ، ومن تجاوز هذا واستمرّ في عناده فإنّ الواجب التّشهير به، والتّحذيرُ منه، ممّن عرف الحقيقةَ، حتى يتجنّب النّاسُ طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم؛ فيُضلّوه، ويصرفُوه عن الطريق المستقيم ؛ الذي أمرَنا اللهُ باتّباعه . . . ولا شكّ أنّ كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم ممّا يحرص عليه الشّيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً». اهـ

٣ـ وللشيخ محمد ناصر الدين الألباني –رحمه الله– فتوى مماثلة في «فتاوه» (ص١٩٦– طبع مصر)، قال – رحمه الله–: «لا يخفى على كلّ مسلم عارف بالكتاب والسُّنّة ، وما كان عليه سلفنا الصالح –رضي الله عنهم– أنّ التّحزب والتكتل في الجماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء؛ بل ذلك مما نهى عنه ربّنا – عزّ وجلّ– في أكثر من آية في القرآن الكريم». اهـ

٤ـ وللشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله– فتوى مماثلة نُشِرت في كتاب «الصّحوة الإسلامية . . . ضوابط وتوجيهات» (ص ١٥٤)، قال – رحمه الله –:

«ليس في الكتاب ولا في السُّنّة ما يبيح تعدّدَ الجماعات والأحزاب، بل إنّ في الكتاب والسُّنّة ذمٌّ لذلك، قال الله –تعالى–: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، ولا شكّ أنّ هذه الأحزاب تنافي ما أمَرَ اللهُ به؛ بل ما حث عليه في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ . [الأنبياء:٩٢] اهـ

٥– وللشيخ د. صالح الفوزان (عضو هيئة كبار العلماء) فتوى مماثلة، وفيها: «التفرق ليس من الدّين؛ لأن الدّين أمرنا بالاجتماع، ونكون جماعة واحدة، وأُمّة واحدة على عقيدة التوحيد، وعلى متابعة الرسول ﷺ، قال الله –تعالى–: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] ». [كما في كتاب «مهذب حكم الانتماء»]

اللهمّ آتِ نفوسَنا تقواها ، وزكّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليّها ومولاها . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.